الوظيفة الدينية للصورة
في قصائد مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي

الاستاذ الدكتور
سها صاحب القريشي
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية

المدرس المساعد
عبد الله كامل مطرود

الوظيفة الدينية للصورة
في قصائد مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي

The religious function of the image in the poems of the World Cultural Spring of Martyrdom Festival

الاستاذ الدكتور
سها صاحب القريشي
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الإنسانية
Suha Sahib Al-Quraishi
suha.s@uokerbala.edu.iq

المدرس المساعد
عبد الله كامل مطرود
Abdullah Kamel Matrood

ملخص البحث:

أخذت الوظيفة الدينية حيزاً واسعاً بين وظائف الصورة في قصائد مهرجان ربيع الشهادة، إذ استطاع الشعراء تجسيد هذه الوظيفية بطرائق عدّة ، فمنهم من تجسدت لديه بالمدح والرثاء المباشر لأهل البيت عليهم السلام تقرباً إلى الله تعالى ورغبة في نيل شفاعتهم عنده تعالى، ومنهم من أسبغ عليها صفةً عقائدية فحشَّد صوره ووظفها لاستنهاض الإمام الثاني عشر عليه السلام، وفريق ثالث كان قد نذر صوره للتصدي للمخالفين ومحاججتهم والدفاع عن معتقده وهويته؛ فكانت هذه الأبعاد تنبعث من عاطفة دينية وشعور بالمسؤولية لدى الشعراء دفعهم لتحشيد صورهم وتوظيفها في الجانب الديني.

Research Summary

The religious job has taken a wide range of image functions in the Spring Certificate Festival poems Meanwhile, a doctrinal status. These dimensions emerged from religious emotion and feeling responsible for poets pushed them to arise and employ them on the religious side.

المقدمة:

إنَّ تحقق الوظيفة الدينية في صور شعراء ربيع الشهادة لم يكن بمعزل عن الواقع والتجربة التي عاشها هؤلاء الشعراء بل كانت نتاجاً للظروف التي عصفت بالواقع الذي تأثر به الجميع فحاولوا أن يتجهوا إلى هذه الوظيفة بوصفها وسيلة للتقرب إلى الله تعالى ليخلصهم مما يعانوه، إضافة الى العنصر الرئيس والدافع الأكبر وهو العقيدة الراسخة والإيمان المطلق بالقضية التي جاؤوا من أجلها وهي الدفاع عن فكر أهل البيت عليهم السلام بوصفه منهاج الإسلام والصراط الذي يوصلهم إلى مرضاة الله.

فجاء هذا البحث بعنوان (الوظيفة الدينية في قصائد مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي) محاولاً تسليط الضوء على تحقق هذه الوظيفة عند شعراء ربيع الشهادة مقسما على محورين حاول المحور الأول إضاءة مفهوم الصورة في النقد الحديث، والتعريف بمهرجان ربيع الشهادة وأهميته، أمَّا المحور الثاني فقد سعى فيه الباحث إلى تتبع تحقق الوظيفة الدينية للصورة في قصائد المهرجان، فجاء مقسماً على ثلاث نقاط رئيسة أولها: اعتماد الشعراء على مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام تقرباً إلى الله تعالى ونيل رضوانه، وثانيها: تحشيد الشعراء لصورهم في سبيل استنهاض الإمام محمد بن الحسن المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، والثالثة: في محاججة المخالفين ورد شبهاتهم.

التمهيد

أولاً – الصورة في النقد الحديث

اعتمد النقد الحديث في بداياته على مناهج متباينة، محاولاً الكشف عن الإبداع الفني في النصوص، وأفاد كثيراً من نظريات الغرب الذين أدخلوا علوماً متعددة في دراسة الشعر وتحليله مثل: علم الجمال، وعلم النفس، وعلم الفلسفة، وعلم الاجتماع...وقد عانت الدراسات الشعرية من فجوات فنية كبيرة وبخاصة تلك الدراسات التي اعتمدت على مناهج تهتم بالشكل من دون الجوهر، وتنأى عن الابداع الحقيقي في الشعر، ومن هذه المناهج: المنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي ، فقد وجّه إلى هذه المناهج نقداً ولوماً كبيراً، واتُّهمت بسلكها مسارات تبتعد كثيراً عن روح الشعر، وفي بداية القرن العشرين حاولت تلك الدراسات تشذيب التعصب، والتمسك بروح العملية النقدية، ففُتحت للناقد نوافذ متعددة للولوج إلى الابداع الحقيقي في الشعر، فحاول هؤلاء النقاد النفاذ إلى النسيج الشعري والكشف عن المحتوى الفكري والبناء الفني، فأدرك قسم كبير منهم أن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هي الصورة الشعرية، بصفتها الكاشف الأبرز للملامح المميزة لأسلوب الشاعر، وخبرته الفنية، وتجربته الشعرية والعاطفية[1].

ونتيجة للتطور الكبير في نظرة النقد الأدبي للشعر، والدور الذي لعبه الغرب في إثراء النظريات النقدية، بدأت علامات التحديد النهائي للمصطلح، فوضع الغرب عدة مصطلحات للصورة، لعل أبرزها تعريف سي دي لويس بقوله: أنّها ((رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة))[٢] ، ووجد ((أنَّ الصورة مهما تكن جميلة، فإنها لا تميّز الشاعر ... إنها تصبح فقط أدلة للنبوغ الأصيل حين تلطف بالعاطفة السائدة أو بالأفكار ذات العلاقة أو الصور التي توقظها العاطفة))[٣]، وأكّد هربرت ريد على أهمية الصورة بوصفها معياراً نقدياً يحكم من خلاله المتلقي على جمال النص، قائلاً: ((إنَّ الحكم على الشاعر العظيم إنما يقوم على أصالة استعاراته وقوتها))[٤]

وفضل جابر عصفور مصطلح الصورة الفنية على غيره من المصطلحات، ويقصد بذلك إلى أن الصورة لا تقتصر على الشعر فقط بل تتعداه إلى الأنواع الأدبية الأخرى مثل المسرحية والرواية ...، ووصف عصفور تعريف دي لويس بأنه (الأكثر سذاجة)؛ لأنه وجد فيه ميلاً أكثر إلى الحسية[٥].

أما احسان عباس فقد وضع لنا فرقاً بين استعمال الصورة قديماً وحديثاً، فقد أشار إلى أن الشاعر القديم يستعمل التصوير لإثبات الشيء أو وصفه، بينما الشاعر الحديث وظف الصورة للتأثير في المتلقي، وبالتأكيد فالشاعر الحديث هنا يلجأ إلى الطريق الأصعب، فهو يحاول التكثيف بالصور والتشبيهات ليتجاوز مرحلة الاقناع ويصل إلى مرحلة التأثير وإثارة المتلقي[٦]، وهذا ما أشار إليه الناقد احسان عباس قائلاً: ((ليست الصورة شيئاً جديداً فإنّ، الشعر قائمٌ على الصورة منذ أن وجد وحتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصوّر))[٧]، فالصورة عند الشاعر الحديث ليست كما هي عند الشاعر القديم؛ لأنّ الشاعر القديم كان يصف الطبيعة التي يعيش فيها محاولاً محاكاتها والتفاعل معها، بيد أنّه لم يخرج عن الطبيعة كما فعل الشاعر المحدث، بل أنّ الفارق بينهما كما يرى الولي محمّد هو فارق كمّي لا نوعي؛ لأنّ الشاعر المعاصر استخدم الصورة بشكل مفرط وأطلق لمخيلته العنان بكمٍ هائل لم يصل إليه الشاعر الجاهلي، و في نهاية الأمر يمكن القول أن كلاهما استعملا التصوير وخرجا عن وصف الطبيعة، فالصفة النوعية متحققة في الحالين[٨].

وليس خافياً على الباحثين مدى التأثير الغربي على نقادنا المحدثين، فقد ظهر لنا جلياً هذا التأثر في أفكارهم وآرائهم المتعلقة بالشعر والخيال، فقد أبدى هؤلاء اهتماماً كبيراً لنظرية للشاعر الإنجليزي كوليردج (الخيال) المأثورة وبخاصة النقاد الشعراء أصحاب مدرسة الديوان الذين تبنوا أفكار الرومانسيين وطروحاتهم في

الخيال والشعر، فقد عَدّ أصحاب مدرسة الديوان الخيال المصدر الأول للصورة، وعن طريق الخيال يمكن للشاعر أن يبثّ الحياة في أشيائه[٩].

ثانياً- مهرجان ربيع الشهادة

يعد مهرجان ربيع الشهادة من أبرز المهرجانات التي ظهرت في العراق بعد سقوط النظام السابق، وما يميّز هذا المهرجان هو فعالياته المتعددة إذ يتضمن بالإضافة إلى فعالية الشعر بنوعيه الفصيح والشعبي عديد من الأنشطة ومنها: معرض للرسوم والفن ، ومعرض للكتاب، ومسابقة للبحوث العلمية، وقد شارك فيه مندوبون من دولٍ متعددة مثل سوريا، ولبنان، والبحرين، ومصر، وإيران، وبريطانيا، وأمريكا، والهند، وغيرها وهذا ما أضفى على المهرجان صفة العالمية .

وقد أقيم هذا المهرجان أول مرةٍ سنة (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٥م)إحياءً للذكرى العطرة لمولد السبط المنتجب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الإمام أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وابنه الإمام السجاد عليه السلام وقد حقق نجاحاً مبهراً على الرغم من الظروف الأمنية العصيبة التي مرّت على البلاد في حينها، فكان التحضير والحضور على مستوى عالٍ من التميّز والإبداع، فقد كان الأمر في البداية يقتصر على فعاليات قليلة وبمرور السنين أصبحت الفعاليات تتزايد وتتطور، وأخذ المستوى التنظيمي يرتفع بزيادة خبرة القائمين عليه[١٠]

وكما هو الحال مع كل عملٍ ناجحٍ، لابد من وجود معوقات وأعداء، ولا سيما أن هذا المهرجان يحمل فكر أهل البيت عليهم السلام لذا من الطبيعي أن تجد مثل هذه الفعاليات أعداءً يحاولون صنع العقبات والمعوقات لها، فأعداء الفكر الحسيني كثر وفي مختلف البقاع و الأزمنة، ومن هذه الصعوبات محاولة بعض الدول عرقلة مواطنيها ومنعهم من السفر إلى كربلاء والمشاركة في المهرجان؛ بسبب الخوف الكبير من انتشار فكر ورسالة أهل البيت السامية، وهذا دليل واضح على مدى أهميته وما يُطرح فيه من أفكار، ولكن كل هذه المعوقات لم تمنع القائمين عليه من بذل الجهود ومضاعفة الهمم، حتى شكّل علامة فارقة من بين المهرجانات والمحافل الدولية في العراق والعالم[١١]، ومن تلك الصعوبات أيضاً العمليات الإرهابية المتكررة التي تستهدف التجمعات وبخاصة المناسبات الدينية، ومنها الانفجارات التي طالت مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف والكاظمية المقدسة وغيرها من المحافظات في مناسبات دينية مختلفة، التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء، ففي كلمة اللجنة العليا لإدارة العتبات المطهرة في ختام المهرجان الأول التي ألقاها الشيخ صلاح الكربلائي نيابةً عن (الأمين العام للعتبة الحسينية المقدسة)

الشيخ عبد المهدي الكربلائي، قال: ((قبل سبعة أيام من زمن بدء المهرجان وفي اللحظات الحرجة للإخوة في استعداداتهم حدثت تلك المجزرة الكبيرة لأحباب الحسين عليه السلام ومن أحباب موسى بن جعفر شهداء جسر الأئمة وسفك ما سفك من الدماء الطاهرة . وفي اليوم قبل الأخير توشحت أفراح المؤمنين بميلاد أبي الشهداء بالدماء الزاكية لأحباب الحسين ... وكأنه يعلن ويقرئ أسماعنا ويردد، ما دمتم سائرين على الخط فاعلموا أن كل يومٍ عاشوراء وكل أرضٍ كربلاء ولو كان في ميلاد أبي الشهداء))[١٢]. فما كان لله ينمو رغم كيد الكائدين فالإمام حسين عليه السلام الذي روّى دمه أرض كربلاء التي كانت صحراء قحلاء جرداء فصيّرها مهوى قلوب المؤمنين، حتماً سيجعل من المهرجان الذي قام على بركة ذكرى ولادته محفلاً عظيماً ملهماً .

أهمية المهرجان

الهدف الرئيس لهذا المهرجان هو نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام، على نطاق أوسع من العالم، فهو تجمعٌ لتوحيد الشِّيعة، وإيصال رسالة الإمام الحسين عليه السلام السامية إلى أرجاء العالم كافة من خلال الصفة العالمية التي حملها، ومشاركة كثير من الدول فيه، إلى جانب توضيح سبب خروج الإمام مع عائلته وأصحابه مع علمه بالظروف ونهاية المصير[١٣]، وكذلك ليتعرف العالم على ما يملكه العراقيون من إمكانات علمية وأدبية وثقافية، وقد أشار إلى ذلك السيد عقيل الياسري رئيس اللجنة التحضيريّة للمهرجان، بقوله:((نعم نحن نؤمن بإمكانية مثقفينا، وأفكار مبدعينا لكننا نريد أن نريَّ الآخر الذي عندنا، نريد أن يطلع الأخرون على ثقافاتنا، ونتاجنا وما جادت به يراعات أدبائنا، وفي الوقت نفسه نكتشف الرصيد الفكري لدى غيرنا))[١٤]، وقال أيضا ((كان المهرجان حريصاً أن يستقطب الأجانب قبل العرب؛ ليريهم صورة هذا البلد عن قرب؛ وليطمئنهم أنهم في أمنٍ وأمان، بجوار مراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتغيير النظرة السوداوية التي رسمها أعداء العراق له، وصدقها الآخرون ، فأراد المهرجان إعادة الهيبة والمجد لهذا البلد، ليعود اسمه في مصاف الدول الراعية للثقافة))[١٥]، ومن أهم اهتمامات المهرجان . التي أشار إليها السيد أفضل الشامي في كلمة إدارة العتبة الحسينية المقدسة . هي السعي لاستبدال مظاهر العنف الطارئة على مجتمعنا بمظاهر ثقافية وعلمية تنفع المواطن العراقي وتعيده إلى سابق عهده[١٦].

لقد لعب المهرجان دوراً هاماً في تلاقح الثقافات وزيادة التعاون بين المؤسسات المشاركة سواء كانت من داخل البلد أو من خارجه، وقد اجتمعت كلها لهدف واحد، وهذا ما أكده السيد أحمد الصافي في كلمة الختام للمهرجان الثاني لإدارة العتبتين المقدستين[١٧]، إذ وجد الصافي

في هذا فرصة لاستنهاض الهمم ودعوة لجميع المسؤولين للنهوض بواقع هذا البلد المظلوم على وفق أسس رصينة بعيدة عن العنصرية والحزبية، ونبذ جميع الفتاوى التكفيرية التي تُبث من حواضن التكفير والإرهاب الساعية إلى تهديم المراقد الطاهرة في العراق، ومحاولات زعزعة أمنه واستقراره، معلناً لهم تحدي المؤمنين لكل هذه الاحقاد والممارسات[١٨].

أما من الناحية الأدبية فقد أسهمت الأمسيات الشعرية (الشعبي والفصيح) بتنشيط الفعاليات الشعرية في كربلاء والعراق، فقد توافد إليها شعراء مبدعون من شتى أنحاء البلاد، ومن دولٍ عربية وإسلامية، فصارت كربلاء قبلة الشعراء كلٌ يدلو بدلوه في حب الحسين و ينهل من نمير المعاني الخالصة بالوفاء وحب آل الرسول عليهم السلام.

فالمهرجان هو بمثابة المبارزة الشعرية لدى الشعراء يتنافسون فيه، ويختارون أجود القصائد من أشعارهم فيلقونها أمام مسامع الحاضرين، وبعد أن تطلع عليها الجنة التحضيرية اطلاعاً كاملاً قبل أن تلقى، ثم أنّ اختيار الشعراء وفق معايير معينة يضعونها وهذا ما أسهم في علو شأن المهرجان من الناحية الشعرية .. وبالإضافة إلى ذلك كله ارتباط القضية الحسينية بالعاطفة، والعاطفة هي الحافز الأول للإبداع الشعري، فالشاعر عندما يكتب قصيدةً عن آل الرسول عليهم السلام فإنّه يكتبها من عاطفة صادقة وحزنٌ وألم على ما جرى عليهم من ظلم وغصب لحقوقهم، فهذه كلها أحاسيس وأشجان تستدعي المعاني وتثير في الشاعر روحه الشعرية وإبداعه ، فيسطّر كل هذه القيم والأحاسيس في قصيدة لتخرج بأبهى حُلّة[١٩].

وأما القصائد المشاركة فقد عمدت العتبة العباسية (قسم الشؤون الفكرية والثقافية) إلى جمعها وطباعتها، باسم: (مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الأمسيات القرآنية والشعرية، ٢٠٠٥م – ٢٠١٤م) في مطبعة دار الكفيل التابعة للعتبة العباسية المطهرة، تخليداً لها، وإتاحتها أمام القرّاء والباحثين، وكذلك فعلوا مع بقيّة الفعاليات.

الوظيفة الدينية

تبوأت الوظيفة الدينية مكانة مرموقة في الشعر عامة وقصائد مهرجان ربيع الشهادة خاصة؛ وتأتي هذه الأهمية مما تحمله هذه الوظيفة من دور في إثبات هوية الجماعات، واجتماعها على موقف وكلمة موّحَّدة، وتحشيدها لوحدة هذه الجماعات، وزيادة فاعليتها في شتى المجالات[٢٠]، وقد تختلف نظرة الشعراء إلى هذه الوظيفة تبعاً لاعتقادهم وتوجههم الديني، وما يهمنا في هذا المقام هو شعر الشيعة والتشيع، فالوظيفة الدينية في شعر الشيعة تتمثل بمدح الرسول وآله عليهم الصلاة والسلام ورثائهم، والاحتجاج على من خالف أحقيتهم وأنكر

إمامتهم وغيرها من النواحي العقائدية التي تأتي في هذا المجال[٢١]، كما وبرز فيما بعد شعر الاستنهاض للإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فَرَجَهُ الشريف وسنتحدث عن هذه الوظائف وتمظهرها في صور شعراء ربيع الشهادة.

أولاً ـ مدح آل الرسول عليهم السلام ورثاؤهم تقرباً إلى الله تعالى

لا شكَّ في أنّ حب آل بيت الرسول عليهم السلام يتربع على أوسع مكان في قلوب شيعتهم وقلوب المسلمين على وجه العموم منذ بداية عصر الاسلام حتى يومنا هذا، فقد أنشأ هذا العشق كياناً خاصاً في الشعر العربي بحيث شكل ظاهرة وموضوعاً مستقلاً في مواضيع الأدب، وبخاصة الشعر الذي يتطرق إلى قضية الإمام الحسين عليه السلام الذي كان وما يزال يمتزج بالألم والحزن على مصيبة كربلاء، ومن المُسلمات عند شعراء القضية الحسينية أنّ الوظيفة الدينية في صورهم تكمن في تعبيرهم عن مشاعرهم تجاه أئمتهم الأطهار عليهم السلام، ووصفهم أكثر الناس منزلة عند الله وأقربهم إلى رسوله، فمشاعرهم في هذا المجال خالصة وصادقة[٢٢]، وهذا نابع عن يقينٍ وإيمانٍ راسخٍ في فكر كل محبي أهل البيت عليهم السلام، انطلاقاً من قول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الشأن: ((أما أنَّكم تُعدُّون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك...))[٢٣]، وقوله عليه السلام: ((من قال فينا بيت شعرٍ بنى الله تعالى بيتاً في الجنَّة))[٢٤] لذا فقد وجدوا في تفاعلهم مع قضية أهل البيت عليهم السلام نصرةً للدين وتقرباً إلى الله تعالى ونيل رضوانه، ومن نماذج تحقق هذه الوظيفة أبيات الشاعر عامر عزيز الأنباري حيث قال[٢٥]:

[الكامل]

أرى كُلَّ قولٍ في الحسينِ قَلِيلا ... وَكُلَّ جَواد في الرثاءِ بَخِيلا
وأرى القريضَ بِكلِّ طَائلِ فَنِّه ... عَبداً على بابِ الحُسينِ دَخِيلا
يَستَافُ من عَبقِ الحُسينِ وَيَرتَوي ... مِن رَاحَتَيهِ وَيَستَمِدَّ أُصُولا
وأرى الإلهَ يُجلُّ مَن أدلَى ومَن ... بِهوى الحُسينِ مُتيَّماً مَتبُولا
لَولاهُ مَا بَقيَ الكِتَابُ وآيَة ... بَعدَ النَّبيِّ وَرُتِّلتْ تَرتِيلا
وأرى أحِبَّاءَ الحُسينِ أعزَّةً ... يَومَ الحِسابِ وَفضلوا تَفضِيلا
وأرى الحُسينَ هُو النَّجاةُ وَلا أرى ... غَيرَ الحُسينِ عَنِ الحُسينِ بَدِيلا

إنَّ إصرار الشاعر على فعل الرؤية (أرى) في أغلب أبيات النص، وتشبثه بالصورة الحسيّة البصرية في نقل تجربته الشعورية يحكي لنا هذا الأسلوب عمق اليقين ومتانة الاعتقاد لدى الشاعر، فقد أفاد الشاعر كثيراً من الصورة البصرية في بث أفكاره والتعبير عن عواطفه تجاه إمامه الحسين عليه السلام، محققاً في هذه الصور انزياحا مقصودا يهدف إلى مزج الانفعال والوجدان بالحس وهذا ما أضفى على الصور الحسية شيئاً من الفرادة تميزت بها أغلب القصائد الحسينية[٢٦]، فقد استعمل فعل الرؤية للقول وللشعر في الحسين عليه السلام ووجده قليلاً أمام ما قدمه هذا الرجل للدين وللأُمّة، ويرى بعين البصيرة أنّ الله تعالى يرفع كل من تعلق بالحسين عليه السلام وسار على نهجه، وفي البيتين الأخيرين يرى بعين اليقين مآل المتقين الذين تمسكوا به، فهم أعزة يوم الحساب، ولا شك في أنّ الشاعر أجاد أيّما إجادة في توظيف الصورة البصرية لخدمة الوظيفة الدينية والاعتقاد الراسخ، فهو لمجرد ذكره المتكرر للاسم الشريف في نصِّه سواء كان مدحاً أو رثاءً يشعر بأنّه أدى رسالة دينية وأخلاقية يرضي بها ربهُ وإمامهُ وضميرهُ .

وبعض الشعراء من وظف صورته في مدح مدينة كربلاء بوصفها مركزاً دينياً مهماً لدى المسلمين بما تحمله من إرث حضاري وتاريخ حافل بالبطولات والتضحيات، يبدأ من واقعة الطف ودورها كشف التزييف الذي طرأ على الدين إلى الوقت الحاضر حيث أصبحت مركزاً علمياً ودينياً مهماً يقصده الناس من شتى بقاع العالم، جسد كل ذلك الشاعر محمد صالح المسعودي قائلاً[٢٧]:

[الخفيف]

شَمخَ المَجدُ عِندَهَـــا والإبَـــــاءُ ... فَتَسامَتْ إلى العُلا كَربَلاءُ
قِبلَةٌ أصبَحَت إلى النـَاسِ تَهفُـو ... كُل عامٍ لَها القُلوبُ ظِمـَاءُ
وَغـَــدَت مَحفـَـلاً واسمـاً بهيـاً ... عرّفتها إلى الدُّنـــا الأنبـَـاءُ
لاصِقاً صَارَ اسمُها مَع أهلِ الـ ... بَيتِ ذكراً مَا تذكر الأسمَاءُ
وهِيَّ لولا الحُسين والآلُ فِيهـَــا ... عَرصَـةٌ غبرةٌ وأرضٌ خـلاءُ
عَرف المَجدُ دَربَهـَـا فَاحتَوتـــهُ ... مِثلَمَا تَحتَوي النّجومَ السَّماءُ

فقد جسَّد الشاعر في هذه الأبيات القيمة والعليا التي حظيت بها مدينة كربلاء المقدسة، عازياً كل هذا المجد والإباء إلى وجود مرقد أبي عبدالله عليه السلام، ((فلو شاءت الأقدار أن يتخذ الحسين أي ارض أخرى لتكون مصرعه لحملت تلك الأرض تلك القدسية والمبادئ

السامية و لبقيت كربلاء على حالها جرداء قاحلة تخلو من تلك القيم وهذه القدسية التي تفتخر بها على كل بقاع الكون))[٢٨]، فلأنّ حكمة الله شاءت أن تكون كربلاء مستقر الإمام الحسين عليه السلام في رحلته نحو الخلود، خُلدت هذه المدينة ببركة مقدمه وأصبحت من أهم المراكز الدينية في العالم وبات العلماء يفدون إليها من كل حدب وصوب، ولولا وجود مرقد الحسين عليه السلام لبقيت صحراء قاحلة ولم ترتقِ إلى هذه الكرامة والمنزلة، وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام في زيارته الشهداء السعداء من أصحاب جده الامام الحسين عليه السلام في كربلاء ((طبتم وطاب الأرض التي فيها دفنتم))[٢٩]، كيف لا وفيها أطهر الأجساد؟

وقد قدم الشاعر كفاح وتوت مدحاً للإمام الحسين عليه السلام يجسد فيه خلوده الذي اقترن بتضحيته العظيمة يوم عاشوراء، إذ قال[٣٠]:

[الوافر]

حُسينٌ فِي عُروقِ الكَونِ يَسرِي ... بِمَجـدٍ بَعـدَهُ مَا قـامَ مَجـدُ
سَقى الرَّمضَاءَ مِن ظمأٍ دمـاءً ... جَرتْ تَجتَـاح أزمِنَةً وَتَعـدُو
بِهِ الأحـرَار تَرقَـى حِينَ يَغلِـي ... دمٌ فِيهَا إذا مَـا جَـارَ وَغـدُ
وَتلهَـج بِاسمِـهِ الأزمَانُ فَخـراً ... فَمَنْ غِيرَ الحُسينِ دِماهُ رَعْدُ

وبلا شك فإنّ الشاعر عندما يمتدح شخصاً عليه أن يصب تركيزه في أهم جانب من جوانب هذه الشخصية، ولهذا وجد الشاعر الذي يمتدح الامام الحسين عليه السلام نفسه أمام موقف عظيم لا يمكنه غض النظر عنه أو تعديه لتصوير جانب آخر من جوانب حياة الإمام ولابد فيجد أنَّ تركيزه الأساس منصب على ((الحديث عن صفاته المتمثلة بحماية الدين والدفاع عن العقيدة، وهي صفات لا شكَّ أنَّها إيمانية))[٣١]، وفي هذه الصّور التي جسدت خلود الإمام الحسين عليه السلام نجد الشاعر قد أسبغ على المدح لوناً من الطابع الديني، فخلود ثورة الطف قرين بخلود الحسين عليه السلام.

واتجه بعض الشعراء إلى تجسيد عشقهم للرسول وآله عليهم السلام، وهذا التجسيد نابع من يقين الشاعر بأنّ مرهونة برضاهم، فقد جاء في حديث الإمام الحسين عليه السلام في خطبته قبل الخروج إلى العراق أنّه قال: ((رضا الله رضانا أهل البيت))[٣٢]، ومن هذا المنطلق الديني صرح الشاعر عبد الإله زمراوي من السودان بحبه للرسول وآله عليهم السلام، قائلاً[٣٣]:

وأنَا سَجِينُ الليل عَبد الخَيل صَحرَاءٌ وغَاب
وأنَا المُتيمُ بِالنَّبيِّ وآلهِ نَحرتُ إبلِي وَجِئتُ أغتَنِمُ الثَّواب

والشاعر هنا لسان حالٍ للإنسان المعدوم الذي لم يطمع في الدنيا ولم تملكهُ شيئاً، ولكنه يطمح لنيل الكنز الأعظم والأكثر غناء، وهو شفاعة الرسول وآله عليهم الصلاة والسلام، فتراه يقطع البوادي من أجل زيارة الحسين عليه السلام واغتنام الثواب.

ثانياً ـ الاستنهاض

ويقصد بالاستنهاض ((تلك القصائد والأشعار الخاصة الموجهة إلى الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لاستنهاضه والتعجيل بخروجه طلب نصرته والانتقام من الظالمين الذين ملأوا الأرض ظلماً وجوراً فيحل بهم القَصاص العادل وينفذ إرادة السماء فيهم))[٣٤]، ولما تحمله من بعد عقائدي وديني؛ تبوأت هذه الوظيفة مكانة كبيرة في قصائد ربيع الشهادة، ولا شكَّ أنَّ قضية ظهور الإمام محمد بن الحسن عليهما السلام هي مسألة حتمية سيبرهن الزمن حقيقتها إذ لا جدل فيها ولا إنكار عند المسلمين الذين يعتقدون بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطؤ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا))[٣٥]؛ وهذا ما جعل الشعراء يبدعون في شعر الاستنهاض ((فلو أنّ الانسان آمن بقضية عادلة فإنه يكون من الناحية النفسية مستعداً لقبول كل ما يعزز تلك القضية، وحينما يكون النص الأدبي موظفاً لتلك القضية فإنّه سوف يكون محر التقاء بين الشاعر والمتلقي))[٣٦]، فوظف شعراء مهرجان ربيع الشهادة صوّرهم الشعرية الدعوة لظهور الإمام المنتظر عجَّلَ الله تعالى فرَجه الشّريف لتتحقق الوظيفة الدينية في هذا المضمون المقدس، فوجه الشاعر طاهر الشيخ حمزة الزبيدي الكربلائي خطابه للإمام شاكياً حال بلاده وما تعرض له من ظلم واضطهاد، قائلاً[٣٧]:

[الوافر]

متى يوماً نراه نبث شكوى ... بما فعل البغاة بنا وشقُّوا
قذا فِي العَينِ بَل والحَلق فِيهِ ... شَجَا زَادَتهُ آهَاتٌ وَحَرقُ
وأحفَاد اليَهود وَقَد تَهَاوتْ ... تُراودُ مَن لَهُ فِي المَالِ غِدقُ
وبَاعُوا دِينهم وَعَتوَا عتُوّاً ... كَبيراً وَازدَروا فِينَا وَعَقّوا

فقد بدأ الشاعر استنهاضه للإمام عجل الله تعالى فَرَجَهُ الشريف بأسلوب الاستفهام الذي خرج للدعاء، فهو يرجو لقاء سيده ليبث إليه شكوى المجتمعات المظلومة التي طالها بطش البغاة، ومكائدهم في شقِّ صفَّ المسلمين، ويشكوه ما أصاب الأُمة من جُهّالها الذين غرتهم أموال اليهود وباعوا دينهم ودنياهم، وكانوا أقرب الأعوان للعدو، ويبدو أنّ خطاب الشاعر ناتج عن تنامي الوعي في الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية في البلاد العربية، فتفاعل مع قضية الأمة وتأثر فيها، وكان ذلك على شعره جليا[٣٨]، ولم يكتفِ الشاعر بذكر الفتن التي دعته إلى استنهاض الإمام عليه السلام بل عرّجَ على ذكر حال الأمة بعد أن خضعوا لفتن اليهود، فقال[٣٩]:

فَبدَّد شَملُنَـا بَعدَ اجتمـــاعٍ ... وصرف الدّهر أشجَان وخفقُ
كَعَنقـُودٍ يُفـرطُهـم لَئيـــمٌ ... حقـودٌ أحمـقٌ وغـــدٌ أعـقُّ
غَدَونَا كَالأضَاحِي بَائساتٍ ... تَرى السِّكين تُشحذُ وَهـي رِقُّ
وإنَّ السيلَ أبعدَ عن مـَدَاهُ ... فَهل يَومـــاً لِهذَا الفَتق رِتـــقُ
صَبرنـَا وانتَظَرنَـا وَامتهنّـــا ... وَلَكِـنَّ الإنـــاءَ عـــراه نَـــزقُ

والشاعر في هذه الأبيات المليئة باللوعة الحرقة على ما أصاب الأمة من فرقة، قد باح بكل ما يعتري الانسان المؤمن والأديب الوفي الذي يشعر بالانتماء إلى الاسلام، فنجد في طيات صوره أقصى درجات الرفض الممتزج بالسخرية من الأوضاع المؤسفة التي آلت إليها الأمة الاسلامية بفعل الفرقة التي خلقها اليهود، فوصفهم بالعنقود الذي يفرط بيد لئيم وليس لهذا العنقود حولٌ ولا قوة، وكالشاة التي تذبح للأضاحي ولا تقدر على مواجهة مصيرها، ولكن رغم كل هذا يبقى أمله معلق بإمام الزمان عليه السلام لينهض بهذه الشعوب نحو الازدهار، فالشاعر على الرغم من كل هذه المصاعب لم تغب عنه فسحة الأمل في ظهور منقذ للإمة؛ ليملأ الأرض قسطاً وعدلا، ويحيي سنن القرآن[٤٠]:

عَلامَات الظُّهور بَدتْ تِباعَـاً ... وإنَّ عُيونَنا للشَّرقِ حـدقُ
ليَّملأ أرضَنـَا قِسطَـــاً وَعـَدلاً ... فَلا عوجٌ ولا مـتٌّ وَحنـقُ
كَنشرِ الروضِ ينشـرهُ حَكِيـمٌ ... فَلا نَسبٌ يَسودُهمُ وَعِـرقُ

وإنَّ الأرضَ تَزهُو وَهي جَذلَى لِمقدَمِه المُبارَك وَهي نَزقُ
لِيَّزرع مِن هُدى القُرآن نـــور وَغيث مِنـهُ للزَّراعِ غِدقُ

إنَّ حاجة المجتمع الاسلامي إلى التغيير وأوضاع المجتمعات المتأزمة دفعت الشاعر إلى التمسك ببارقة الأمل التي تتمثل بظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام، إذ استعان الشاعر بهذا الأمل في سد الفراغ الذي تركه اليأس في نفسه هو ومجتمعه، وكذلك رغبته في التحرر من سلطة القيود التي فرضت عليه من قبل المتولين للسلطة، فقرر أن يلتجئ سائراً بسيرة أسلافه من الشعراء الماضين إلى استنهاض الإمام عليه السلام فهو أيسر السبل في التخفيف عن ذلك الكاهل الثقيل[٤١]، إضافة على ما يحمله الشاعر من يقين بأنّ الظهور أمرٌ حتمي لا مناص منه وهو قريب عند الموقنين.

ولم تقتصر مضامين الاستنهاض على نقد الواقع وتوظيف الصّوّر في الدعوة إلى ظهور المُخلّص من هذا الواقع بل توجه بعضهم للتذكير بمظلومية أهل البيت عليهم السلام وبخاصة ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام في عرصة كربلاء[٤٢]، فقد استعمل الشاعر نجاح العرسان هذا المضمون في مطلع قصيدته، فقال[٤٣]:

[البسيط]

من أوَّل الطَّفِّ حتّى آخر العمر نعتّق الثأرَ فِي أحداقِ منتظرِ
وخَلفَ طَـالِبِهِ لَـم نَتَّبــع سَبَبــاً ولا هَداهِدُ غَيبٍ جئن بــالخبرِ

فقد أكد الشاعر في مطلعٍ استنهاضي للإمام الحجة عليه السلام على مسألة الثأر من القتلة الفجرة الذين قتلوا الحسين عليه السلام وغصبوا حقه وحق جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الحرارة في الاستنهاض تنبعث من الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر في زمن كثر فيه التعدي على حرمات المسلمين، وانتشر الظلم وغاب الحق فلم يجد الشاعر إلا هذه الوسيلة لتعبر عن كوامنه ورفضه[٤٤]، فالثأر الذي يقصده الشاعر ليس القصاص من القتلة بل الثأر يتحقق بنصرة الحق واندحار الباطل، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن يوماً في نظر المؤمن رجلاً قتل مظلوماً فقط بل هو مبدأ وكلمة حق تتجدد على مر العهود، فكل نصر لحق، وهزيمة لباطل، ونصرة لمظلوم هي ثأر للحسين عليه السلام، ومن هذا المنظور كان توجه الشعراء في طلب الثأر، وهذا ما أثبته الشاعر في خاتمة مطوّلة الاستنهاضية قائلاً[٤٥]:

[البسيط]

وخُذ بِثاراتِ أهلَ البَيتِ إذ لَكُمُ ... دمُ الحُســـين فَهذا الثَّــأر مُقتــدرُ
لِيَّسبكرَّ التُقَى عنـوان معجـزةٍ ... وَيرتع الخلق فِي خَصبٍ كَما فُطروا
يَـا عزَّة الله إذ سَمَّـاكَ حُجَّتـه ... كَفَـــى بِنَصـركَ إنَّ الله يَنتَصِـــرُ

فالشاعر رأى في نشر التقى وعلو شأنه وتنعم الناس بخيرات الأرض من دون طمع وظلم لأحد، هو الثأر الأعظم لأهل البيت عليهم السلام وفي هذه الصّور الشعرية التي وقعت ضمن محتوى استنهاض الإمام الحجة عليه السلام، نلحظ بوضوح تجلي المضامين الإصلاحية[٤٦] الدينية إذ كانت الدعوة واضحة إلى اصلاح سبيل المجتمعات من الناحية الدينية أو الاجتماعية فمثل شعر الاستنهاض رسالة الإنسان الذي يطمح لحياة تسودها العدالة والإيمان.

ولعل الشاعر حسن عبد راضي قد كان توجهه في الاستنهاض أكثر شمولية من غيره، فكان دافعه في حشد الصوّر للاستنهاض هي الأمة الاسلامية ككل، وموقفها بين العالم وما تتعرض له من اضطهاد، حتى أصبحت محاصرة من كل الجهات لا تعلم أين ملجأها، قائلاً[٤٧]:

[المتقارب]

أضِئنَـــا فَكَوبنـا قَـــد عُمـــي ... وَفَاضَـتْ مُحيطَـاتُهُ بِالَّـدمِ
وأنهَـارهُ اغرَورقَـتْ بِالصَّـدِيـدِ ... تُلوى ظماءً ومَـا مِن فَـــمِ
أضِئنَـــا فَقَـــد نَسيَّتنَـا الشُّمـــو ... س فِـي فَلكٍ دَائـــرٍ مُعتِـمِ
وصِرنَـــا إلى عَـــالَمٍ مِن رَمَـــاد ... كَـأنَّ العَمـــاليقَ مِن جَرهَـم
تُحاصرنَا النَّار مِن كُـلِّ فَـــجٍّ ... فَنَحنُ مِن الأرضِ فِي قمقمِ
وَخَلف الظُّهور سِوى رُوم رُوم ... فَمـن أيِّ جَبهاتِنَـا نَحتَمِـي

إنَّ الهدف المنشود والمرتجى من ظهور الإمام الحجة عليه السلام هو دولة إسلامية عزيزة مرجعها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله[٤٨]، هذه الدولة لا تتحقق إلا بتوحيد المسلمين في كل بقاع العالم على كلمة واحدة فتكون بذلك قوّة عظيمة وليست مضطهدة كما هو حالها اليوم، وهذا يفسر إصرار الشاعر على لفظة (اضئنا)، فهو قد وجد بالذي ينتظره أملاً وشعاعاً ينير عتمة هذا الزمان المليء بالطواغيت.

ثالثاً ـ الحِجاج

قديماً، توجهت الأنظار نحو الحجاج بوصفه نشاطاً لغوياً بلاغياً، وجعلوا منه ركيزتهم في العلاقات الدينية والاجتماعية والسياسية من خلال ما حمله من (فن الاقناع) إلى أن أصبح في العصر الحديث أسلوباً لهذا العصر،[٤٩]، فصار مطية الشعراء والأدباء وعلماء الفقه والمنطق، ويقصد بالحجاج إيصال المخاطَب إلى مراد المُخاطِب عبر اللغة، ووسائلها البيانية والإقناعية[٥٠]، إذ تنتمي النظريات الحجاجية إلى البلاغة أو إلى علم المنطق بحسب الموقف وهي ما زالت في طور التكوين والتجدد[٥١] ورأى أخرون أنّه ((مسائلة للمسكوت عنه من مواقع الاعتراض، أو من جهة الاختلاف الجزئي))[٥٢]، مما يؤدي به إلى الإقرار؛ نتيجة للحجج الملقاة والأسلوب المقنع.

وتأتي أهمية الحجاج في مهرجان ربيع الشهادة من البعد الديني والعقائدي الذي يحمله، بوصفه موجهاً توجيهاً مباشراً إلى جمهورٍ مستمع في دائرة تفكيرٍ مؤهلة للخطاب الحجاجي[٥٣]، فقد خلق الشعراء مواقف حوارية مستنبطة من الواقع وإثارة المَواطن التي حاول المخالف أن يقلل من شأنها، وردِّه بالأدلة المنطقية والعقلية وبالحجج القرآنية، كالّذي جاء في قصيدة نجاح العرسان وحجاجه في مسألة شفاعة أهل البيت عليهم السلام والإتهام بالغلو في حبهم عند الشيعة، فقال[٥٤]:

[البسيط]

وَقِيلَ عنّا بأنّا مُغرقونَ ولا شَفيع ... يُنجِي رَهِيناً بِالَّذي اكتَسَبَا[٥٥]

وَإصبَعٌ مِنكَ لَو أومَى لخالِقِهِ ... أجَابَ نَبَّاشَنَا مِن جِذعِه رَطَبَا

دَنُوتُ بَابَكَ مَضعُوناً عَلى ثقةٍ ... بِأنَّ بَابَكَ بَاب الله مَا وَهَبَا

فَسمِّني الدَّمع واكتُبنِي هَويَّتُه ... فَلَيسَ فِي العُمر مَا يستعذب الطَّرَبَا

ولا شكَّ أنَّ العلاقة بين طرفي الحجاج، هي عدم اليقين فالذي يدافع عن قضيته يحاول أن يجعل أسلوبه ومقدرته اللغوية والبلاغية في خدمة الحجاج من أجل اقناع المقابل واستمالته، فالمحاجج الحاذق يجعل من المخالف مشدوداً إليه وإن كان لا يؤمن بما يطرحه[٥٦]، فالشاعر في هذه المقطوعة التي امتدح فيها أبا الفضل العباس عليه السلام قد أثار نقطة خلافية مهمة جداً وهي إنكار المخالف لقضيّة الشفاعة، وكلامه حول الإغراق والغلو في محبة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الانكار والاعتراض يثير الاستغراب إذ أنَّ العاطفة أو المُعتقد أو الدين شيء يغوص في غور الانسان وهو من طبائعه ولا يمكن بأيّ شكل من الأشكال أن

تخضع للرأي والاحتجاج بل يكون شيئاً بديهياً يشكل جزءاً من حياته[٥٧]، إلا أنّ الشاعر حاول عبر هذه الصور نقل مبادئه وعاطفته التي حورب من أجلها، كما أظهر مكانة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم عن الله تعالى على الرغم من يقينه بعدم الجدال في المعتقدات، ومما لديه من اعتقاد أن إمامه عليه السلام سينجيه حتماً من عذاب الآخرة، وانها قادر على فعل كل شيء بمنزلته عند الله، والله تعالى قد سخر له كل شيء بحكم إيمانه وسيرته المليئة بالتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله، فقد ورد في الحديث القدسي قوله تعالى: ((عبدي أطعني تكن مثلي، تقل للشيء: كن، فيكون))[٥٨]، ومن هذا المنطلق وجد الشاعر في إمامه عليه السلام وسيلته في نيل الشفاعة، فتمسك به بكل ثقة ويقين.

أمّا الشاعر عامر عزيز الأنباري فقد صور لنا مشهداً حوارياً من يوم عاشوراء يحمل في طياته حججاً يلقيها الإمام الحسين عليه السلام على جيش الضلالة، فهم على الرغم من علمهم بصدق هذه الحجج وحقيقة ما ينطق به الإمام إلا أنهم لم يعدلوا عن أمرهم في قتله بغضاً وحسداً، إذ صور الشاعر ذلك في قوله[٥٩]:

[المتقارب]

ثَلاثُونَ ألفَـاً عَلى ضِفتيــــهِ ... بِغير المُروءاتِ قد عَسكَـروا
ثَلاثـونَ ألفـاً فَهَـل واحِــدٌ ... بِـــه قَطــرَة بِالحَيَـا تَقطِـرُ
تُحَاجِجهم أنَّك ابن النبـــيِّ ... وإنَّ أبَــاك الفَتَـــى حيـــدرُ
وإنّكَ سبـــط الَّـذي آمَنُـــوا ... بِدعوَتِـــهِ بَعـد واستَبشَـــرُوا
وإنّكَ ابن البَتُول العَظِيمَــة ... شَــأنَــاً لَدى اللهِ لا يُحـــزَرُ
وإنَّكَ مَن بَاهل المُصطفى ... بِه أهـلَ نَجــران إذ أنكَـــرُوا

فقد اعتمد الشاعر على خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء الذي وجهه للقوم مبيناً مكانته وعظيم منزلته في الاسلام، ليشد انتباه المتلقي ويتملك أحاسيسه؛ فالمتلقي يبقى دائماً حبيس الانفعالات والأهواء، إذ من الممكن احداث الأثر في ذاته عبر التواصل والتواطؤ المسبق، هذا التواصل يكون قاسما مشتركاً بين الشاعر والمتلقي في المعتقد والقيم والأعراف[٦٠]، فالإمام الحسين عليه السلام لم يترك حجة إلا واستعملها كوسيلة لاستقطاب ذي القلب القويم، وثني صاحب الفطرة السليمة من القوم، فذكّر بكتاب الله وآياته، وبرسوله صلى الله عليه وآله ومنزلته وأحاديثه إلا أنّهم أصروا على عنادهم، وفضلوا العمى والضلالة على الهدى

والبصيرة[٦١]، ولا شكّ بأنّ أول ما احتجَّ به الإمام الحسين عليه السلام هو النسل الطاهر الذي ينحدر منه، فيكفيه حجة على العالمين إنّه سبط النبي صلى الله عليه وآله وابن فاطمة سيدة نساء العالمين وعلي سيد الوصيين عليهما السلام، وهو ممن طهّرهم الله تعالى من الرجس في آية التطهير إذ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[٦٢]، ومن الذين باهل فيهم الرسول صلى الله عليه وآله نصارى نجران، فما كان ردهم إلا بما تنطوي عليه أنفسهم من الخبث والحقد على أهل البيت عليهم السلام[٦٣]:

فَمَا هزَّهم كُـلُّ هذا النِّــداء ... وَلَم يَسمَعُوا قَط أو يُبصِرُوا
وأدرَكـتُ أنَّهُـــمُ يَحمِلُــونَ ... قُلوبــاً تَدقُّ ... ولا تَشعــرُ
وكَان إليكَ الجَّوابُ الأخير ... سَمــاءٌ بـَأسهُمِهـم تمطِــرُ

فلم يكن ردهم على كل هذه الفضائل إلا بالحرب على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وقتلهم وسبيهم، ومن الواضح ((أنّ ظروف معركة الطف الخالدة أملت على أبي عبدالله وأصحابه شروطاً حجاجية وجب عليهم مسايرتها لتبقى معركة الطف سفراً شاهداً على طغيان الشر وهيمنة الباطل))[٦٤] وقد أفاد من هذا المشهد الحواري المليء بالحجاج في وصف التناقض الذي ظهر جلياً بين المعسكرين ففي كفّة وضع التقوى والإيمان والحق والنسب الطاهر وفي أخرى كان تجار القتل وطلاب الدنيا وعباد السلطة والمال.

وحاول في قصيدته (أحبكم آل بيت الله) الشاعر محمد حسين الطريحي ردّ شبهات عاذله في حب آل البيت عليهم السلام مبيناً له أسباب تعلقه بمودتهم، قائلاً[٦٥]:

[الطويل]

يـَا طَــالباً بُغضهم أبشِـر فَأولـــه ... فِداؤهُم فِي حَياتِي المَالَ والوَلَدُ
والرُّوح لَو لَم تَكُن طَوع الإله غَدتْ ... تُسبِّــحُ الله فِيكُــم ثُمَّ تَتَّسِـــدُ
هُم خَير مَن قَـال قَولاً بَعدَ جدِّهـــم ... وهُم عَلى سنَّة مِنهُ وَمَـا بَعدُوا

إنَّ اعتماد الشعراء على معرفتهم المتعمقة بصغائر الأمور التي تخص القضية الحسينية، وإلمامهم بتداعي هذا التمسك[٦٦]، جعلهم يوظفون صورهم توظيفاً دينياً مناسباً للموقف الحجاجي، فالشاعر يحمل من المعرفة والدراية ما يؤهله لحمل هذه القضية والدفاع عنها بيد أنّه

واجه واقعاً منكِراً ومعترضاً لجوجاً في العناد وهذا ما دفعه لحشد الحجة تلو الأخرى في تكوين نصه، فأسهب بذكر ما لأئمته من فضائل، وأظهر تمسكه بهذا النهج ولو كلفه حياته وحياة أولاده وعياله، كيف لا وهم خير عباد الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما قدم الشاعر عامر عزيز الأنباري الحجج المنطقية في خلود الإمام الحسين عليه السلام، وانتصاره في الحقيقة على الرغم من مقتله وعياله واصحابه في المعركة، حين قال[٦٧]:

[الكامل]

صَوتٌ برمضاءِ الطّفوف يَصِيحُ ... مَن مِنهمُ الذَّباحُ والمَذبُوحُ
زَعموا بِأن قُتِلَ الحُسين فَسرَّهُم ... هَذا وَزينب فِي العَراءِ تَنُوحُ
بَل أرَّخُوهُ وَقِيلَ تِلكَ نهايةٌ ... تَمَّتْ ولا شَرحٌ ولا تَوضِيحُ
وَعَليهِ يَنسَدِل السِّتار فَبعدَهَا ... لا يَنبَغِي التَّصرِيحُ والتَّلمِيحُ
لِمن الصُّروحُ الشَّامِخاتُ وفَوقَها ... رَايَات حقٍ للعُيونِ تَلُوحُ

ففي هذه الصور المشحونة بالعاطفة والوعي مثّل جدلية الحقيقة والتاريخ في قضية كربلاء، فأما التاريخ فقد اكتفى بسرد واقعة كربلاء بشكلها المادي وحسمها بمقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام وانتصار يزيد، بيد أنّ للحقيقة صوت لابد من أن يصدح مهما علا التضليل والتكميم، وما تلك القبب المنيفة على أجسادهم الطاهرة، التي تعلوها رايات الشامخة تلوّح بالنصر، والملايين التي تهفو متوافدة على زيارتهم إلا مصداق على تلك الحقيقة الساطعة وشاهد على خلوده عليه السلام وسحق أعدائه. هذه الحقائق احتج بها الشاعر على كل من ادعى أنّ الإمام الحسين ما هو إلّا رجل خرج على أمر الخليفة ولقيَّ حتفه قُتل قبل مئات السنين، ورمى من تمسك بنهجه صنوف البهتان وأنواع الأوصاف.

الخاتمة:

أخذت الوظيفة الدينية حيزاً واسعاً بين وظائف الصورة في قصائد مهرجان ربيع الشهادة، إذ استطاع الشعراء تجسيد هذه الوظيفية بطرائق عدّة، فمنهم من تجسدت لديه هذه الوظيفة بالمدح والرثاء المباشر لأهل البيت عليهم السلام تقرباً إلى الله تعالى ورغبة في نيل شفاعتهم عنده، ومنهم من أسبغ عليها صفةً عقائدية فحشَّد صوره ووظفها لاستنهاض الإمام الثاني

عشر عليه السلام، وفريق ثالث كان نذر صوره للتصدي للمخالفين ومحاججتهم والدفاع عن معتقده وهويته؛ فكانت هذه الأبعاد تنبعث من عاطفة دينية وشعور بالمسؤولية لدى الشعراء دفعهم لتحشيد صورهم وتوظيفها في الجانب الديني.

الهوامش:

(١) ينظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: ٦ . ٧.

(٢) الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: د.احمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن، مراجعة: د. عناد غزوان، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر . الكويت، (د. ط)، (د. ت): ٢٣.

(٣) م. ن: ٢٣.

(٤) الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، وحيدة صبحي كبابة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦م: ٨.

(٥) ينظر: الصورة الشعرية في النقد الحديث: ٢٩ . ٣١.

(٦) ينظر: فن الشعر، احسان عباس، دار الثقافة . بيروت، ط٣، (د. ت): ٣٣٠ . ٣٣١.

(٧) م. ن: ٢٣٠.

(٨) ينظر: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي – لبنان ط١، ١٩٩٠م: ١٦٤ – ١٦٥.

(٩) ينظر: الصورة الشعرية النظرية والتطبيق، عبدالحميد قاوي، مطبعة رويغي . الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م :٦٤.

(١٠) ينظر: مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (البحوث والدراسات) سنة ٢٠٠٥م – ٢٠١٤م، دار الكفيل للطباعة والنشر، مجلد ٢: ٧.

(١١) ينظر: م . ن: ٧.

(١٢) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (كلمات الافتتاح والختام) سنة ٢٠٠٥م – ٢٠١٤م ، مجلد١، دار الكفيل: ٢١.

(١٣) ينظر: مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (البحوث والدراسات): ٦ – ٧.

(١٤) دليل فعاليات مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الحادي عشر، ٢٠١٥م، ط١: ١١ – ١٢.

(١٥) م . ن: ١٢ – ١٣.

(١٦) ينظر: مهرجان ربيع الشهادة (كلمات الافتتاح والختام): ٢٣.

(١٧) ينظر: م . ن: ٥٠.

(١٨) ينظر: مهرجان ربيع الشهادة (كلمات الافتتاح والختام): ٥٢.

(١٩) مقابلة إلكترونية مع الأستاذ علي كاظم سلطان مسؤول قسم النشاطات في العتبة الحسينية وأحد أعضاء اللجنة التحضيرية للمهرجان .

(٢٠) ينظر: الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، محمود سليم محمد هيجانة، رسالة دكتوراه: جامعة اليرموك . مكلية الآداب . قسم اللغة العربية ٢٠٠٦م: ٥.

(٢١) ينظر: الأدب في ظل التشيع، عبدالله نعمة، دار التوحيد الاسلامي . بيروت، ط٢ . ١٩٨٠م: ١٠.

(٢٢) : ينظر: الاتجاه الديني في الشعر العراقي في القرن الثالث عشر الهجري، محمد أحمد خضيّر، رسالة ماجستير: الجامعة الاسلامية . كلية الآداب . قسم اللغة العربية، بغداد . ٢٠٠٨م: ٦٨.

(٢٣) ينظر: كامل الزيارات، ابن قولويه، دار المرتضوية . النجف، ط١ . ١٣٩٧هـ: ١٠١.

(٢٤) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، الطبري، منشورات المكتبة الحيدرية ، ط٢، ١٩٦٣م: ٧/٦.

(٢٥) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٢٢٦.

(٢٦) ينظر: دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني: ٤٩.

(٢٧) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٣٥.

(٢٨) كربلاء في شعر نزار قباني، مقال في موقع الحوار المتمدن على الإنترنت، لؤي قاسم عباس ٢٠١٤/١١/٣.

(٢٩) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٩٨/ ٢٠١.

(٣٠) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٤٨.

(٣١) الشعر الحسيني في العراق وإيران: ١٢٦.

(٣٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، أبي حنيفة النعمان (ت ٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، جماعة المدرسين بقم، ط١ . ١٤٠٩هـ: ١٤٦/٣.

(٣٣) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٣٠١.

(٣٤) الطفّيات: ٢١٢.

(٣٥) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخزاز الرازي، تح: العلامة السيد عبداللطيف الحسيني الكوه كمري، دار بيدار . قم، ١٤٠١هـ: ١٦٥.

(٣٦) قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة في الشعر العراقي للحقبة (١٢٠٠هـ . ١٣٠٠هـ) (١٧٨٥م . ١٨٨٢م) دراسة تحليلية، حسن هادي مجيد العوادي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١ . ٢٠١٣م: ١٤٦ . ١٤٧.

(٣٧) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٣٢٤.

(٣٨) ينظر: قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة في الشعر العراقي: ١٣٩.

(٣٩) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٣٢٤.

(٤٠) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٣٢٥.

(٤١) ينظر: الشعر الحسيني في العراق وإيران: ١٥٩.

(٤٢) ينظر: الطفيات: ٢١٤.

(٤٣) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٢٣٨.

(٤٤) ينظر: قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة: ١٣٠.

(٤٥) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٥٦.

(٤٦) ينظر: الشعر الحسيني في العراق وإيران: ١٦٠.

(٤٧) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٤٤.

(٤٨) ينظر: قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة في الشعر العراقي: ١٥٣.

(٤٩) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، بارك تاردو، ترجمة: احمد الورداني، دار الكتاب الجديد . بيروت، ط١ . ٢٠٠٩م: ١٦.

(٥٠) ينظر: أساليب الحجاج في خطب معركة الطف، محسن تركي الزبيدي، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ، العدد ٢٥ السنة الثالثة عشر ٢٠١٩م: ٤٤.

(٥١) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، عايد جدوع حنون، اطروحة دكتوراه: جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية ، قسم اللغة العربية . ٢٠١٣م: ١٨.

(٥٢) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس . الدارالبيضاء، ط١ . (د ت): ٨.

(٥٣) ينظر: أساليب الحجاج في خطب معركة الطف: ٧٣.

(٥٤) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٣٤٩.

(٥٥) البيت فيه خطأ طباعي وقد تم التواصل مع الشاعر وبين أن البيت هو: وقيل عنا بأنا مغرقون ولا ينجي شفيع رهينا بالذي اكتسبا .

(٥٦) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين ع: ٢٢.

(٥٧) ينظر: الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشيال . عبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة . القاهرة، ط١ . ٢٠١٣م: ٤٣.

(٥٨) دلائل الصدق لنهج الحق، الشيخ محمد حسين المظفر (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم، ط١ . ١٤٢٢هـ: ١٨١/٥.

(٥٩) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٩٦.

(٦٠) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: ٧٥.

(٦١) ينظر: الملحمة الحسينية، قراءة في السيمياء والتداول، د. محسن تركي الزبيدي، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء . العراق، ط١ . ٢٠٢٠م: ٣٦ . ٣٧.

(٦٢) الأحزاب: ٣٣.

(٦٣) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٩٦.

(٦٤) الملحمة الحسينية: ٤٤.

(٦٥) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ١٩٦.

(٦٦) ينظر: دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني: ٦٧.

(٦٧) مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية): ٢٢٥ . ٢٢٦.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١. الأدب في ظل التشيع، عبدالله نعمة، دار التوحيد الاسلامي . بيروت، ط٢ . ١٩٨٠م.
٢. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، الطبري، منشورات المكتبة الحيدرية ، ط٢، ١٩٦٣م.
٣. الحجاج بين النظرية والأسلوب، بارك تاردو، ترجمة: احمد الورداني، دار الكتاب الجديد . بيروت، ط١ . ٢٠٠٩م.
٤. الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشيال . عبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة . القاهرة، ط١ . ٢٠١٣م.
٥. الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس . الدارالبيضاء، ط١ . (د ت).
٦. دلالة الصورة الحسّية في الشعر الحسيني، صباح عباس عنوز، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين، ط١، ٢٠١٣م.
٧. دلائل الصدق لنهج الحق، الشيخ محمد حسين المظفر (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم، ط١ . ١٤٢٢هـ.
٨. دليل فعاليات مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الحادي عشر، ٢٠١٥م، دار الكفيل، ط١.
٩. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، أبي حنيفة النعمان (ت ٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، جماعة المدرسين بقم، ط١ . ١٤٠٩هـ.

١٠.الصورة الشعرية النظرية والتطبيق، عبدالحميد قاوي، مطبعة رويغي . الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م.
١١.الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي – لبنان، ط١، ١٩٩٠م.
١٢.الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي ـ بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١٣.الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، ترجمة: د.احمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن، مراجعة: د. عناد غزوان، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر . الكويت، (د. ط)، (د. ت).
١٤.الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، وحيدة صبحي كبابة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦م: ٨.
١٥.فن الشعر، احسان عباس، دار الثقافة . بيروت، ط٣، (د. ت).
١٦.قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة في الشعر العراقي للحقبة (١٢٠٠هـ . ١٣٠٠هـ) (١٧٨٥م . ١٨٨٢م) دراسة تحليلية، حسن هادي مجيد العوادي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط١ . ٢٠١٣م.
١٧.كامل الزيارات، ابن قولويه، دار المرتضوية . النجف، ط١ . ١٣٩٧هـ.
١٨.كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخزاز الرازي، تح: العلامة السيد عبداللطيف الحسيني الكوه كمري، دار بيدار . قم، ١٤٠١هـ.
١٩.الملحمة الحسينية، قراءة في السيمياء والتداول، د. محسن تركي الزبيدي، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي، كربلاء . العراق، ط١ . ٢٠٢٠م.
٢٠.مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (الأمسيات القرآنية والشعرية) سنة ٢٠٠٥م ـ ٢٠١٤م، دار الكفيل .
٢١.مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (البحوث والدراسات) سنة ٢٠٠٥م – ٢٠١٤م، دار الكفيل للطباعة والنشر، مجلد ٢.
٢٢.مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي (كلمات الافتتاح والختام) سنة ٢٠٠٥م – ٢٠١٤م ، مجلد١، دار الكفيل.

الرسائل والأطاريح

١. الاتجاه الديني في الشعر العراقي في القرن الثالث عشر الهجري، محمد أحمد خضيّر، رسالة ماجستير: الجامعة الاسلامية . كلية الآداب . قسم اللغة العربية، بغداد . ٢٠٠٨م.
٢. الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام، عايد جدوع حنون، اطروحة دكتوراه: جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية ، قسم اللغة العربية . ٢٠١٣م.
٣. الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، محمود سليم محمد هيجانة، رسالة دكتوراه: جامعة اليرموك . مكلية الآداب . قسم اللغة العربية ٢٠٠٦م.